القمر لم يسقط في البئر

محمود درويش

[فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية]

ـــ ماذا تفعل يا أبي ؟

● أبحث عن قلبي الذي وقع في تلك الليلة .

ـــ وهل تجده هنا ؟

● أين أجده اذن !. أنحني على الارض والتقطه حبات حبات كما تجمع الفلاحات ، في تشرين ، حبات الزيتون .

ـــ ولكنك تلتقط حصى !

● شيء كهذا يمرن الذاكرة والبصيرة . وما أدراك ، قد يكون هذا الحصى تكلس قلبي. واذا لم يكن ـــ أكون قد تعودت على محاولة البحث وحدي عن شيء حين ضاع ضيعني . وان مجرد البحث عنه دليل على أنني أرفض الاندماج بضياعي . وعلى الطرف الثاني من المحاولة دليل على أنني ضائع طالما لم أجد الشيء الذي أضعته .

ـــ وما تفعل أيضا يا أبي ؟

● أعثر على الحصى الذي يشبه قلبي وأحوله بأصابعي الملتهبة الى كلمات تجعلني في حوار مع البلد البعيد . نصير لغة قابلة للتجسيد .

ـــ ألا تقول كلاما آخر ؟

● أقول ولكنني لا أفهمه ، وتصير المرأة التي أخاطبها غربة ثانية .

ـــ حين كنت صغيرا .. كنت تخاف القمر ؟

● يقولون ذلك . ولكن ليس صحيحا ان الاطفال يخافون القمر دائما ..

.. لولاه لكنت يتيما قبل أواني . لم يكن قد سقط في البئر . كان أعلى من جبيني وأقرب من شجرة التوت التي توسطت دار جدي . وكان الكلب ينبح عندما يقترب . وحين دوت أول رصاصة دهشت لحفلة زفاف تحدث في المساء . وحين ساقوني الى القافلة الطويلة